

الفضل لله على عباده في الرزق والخُلُق

بسم الله الرحمن الرحيم

فضّل الله بعض عباده على بعض في الرزق الدنيوي، كما قال الله تعالى: (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضّلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء).

وزاد بعضهم درجة فضلّه في الخُلُق كما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم: "إنّ الله قسم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم" و: "إنّ الرجل ليدرك بحسن الخُلُق درجات المصنّئم المقائم".

وخير الخُلُق: المدين، كما ورد عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها في وصف النبيّ صلى الله عليه وسلّم: "كان خُلُقَه القرآن" أي: دينه ومنهاجه وطريقته، كما قال الله تعالى: (إن هذا الخُلُق الأوّلين).

أمّا قصر الخُلُق على المعاملة فخطأ شائع.

وقد يجمع الله للمصطفين من عباده كلّ أنواع الفضل كما أوريث عبده سليمان عليه الصلّاة والسّلام النّبوة والملك وتسخير الريح والمجن.

ولكنّ الله لا يعطي العبد من عباده كلّ شيء ولما يحرمه من كلّ شيء كما قال تعالى: (كلّاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً) أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً).

وكان أقدس بيوت الله وخير البقاع على وجه الأرض في يد مشركي قريش: يعمرّون الكعبة ويسقون الحاج إليها قبل فتح مكّة المباركة بجيش المسلمين يقوده سيّد ولد آدم يوم القيامة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وامتبعي سنّته إلى يوم الدين.

وعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج إليه شرف عظيم، وأعظم من ذلك شرفاً وفضلاً من الله تعالى: الإيمان بالله وباليوم الآخر

والمجاهد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا فلما يُعبد في الأرض غير الله (دعاءً أو استغاثةً أو ذبحاً أو نذراً أو طواضاً أو نحو ذلك) ولما تدنّس المساجد بأوثان المقامات والمزارات والمشاهد، ولما بزوايا وطقوس الصّوفيّة المضالّة ولما بأفكار المبتدعة المنحرفة: قال الله تعالى: (أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لئلا يستوون عند الله).

والمحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات: لقد جمع الله لولاية هذه البلاد المباركة ما لم يجمعه لغيرهم من ولاية المسلمين منذ نهاية القرون المفضّلة: فجدد بهم دينه في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الهجري وأزال بهم البدع الوثنيّة فما دونها، وحقّق بهم الأمن، ونشر بهم توحيد الله وإفراده بالعبادة وما دون ذلك من أحكام شرعه والدعوة إليه على بصيرة ومكّن لهم وبهم في الأرض.

وفي هذا القرن ومنتصف القرن الذي قبله فتح الله لهم وبهم من خزائن الأرض ما لم يفتحه لغيرهم: فأطعم بهم من جوع، وآمن بهم من خوف، وعلم بهم من جهل، وشفى بهم من مرض الجسم والعقل والقلب، ووزع بهم من معصية الشبهة والمشهوه ما لم يزعه بالقرآن وحده.

وفوق هذا كلّه وأعظم منه: جمع لهم عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاجّ والمعتمر والمقيم، والحكم بشرع الله من الإيمان بالله وباليوم الآخر والجهاد في سبيل الله حتى سقطت جميع الأوثان والبدع وزوايا المتصوّف وفارق المضلال، وظهر الحكم بما أنزل الله على جميع أحكام الجاهليّة القديمة والجديدة في الاعتقاد والعبادة وجل المعاملة.

وهذه المنجزات التي ذكرناها من شهود العدل على ما نقول، نرجو الله أن ينفع بها النفع المأمول منها، وأن يتقل الله بها موازين ولاية الأمر يوم القيامة، والله ولي التوفيق.

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز المحصيّن تعاوناً على البر والتقوى وتحذيراً من الإثم والعدوان.